ولدي الحبيب .. محمد
كنا تمنينا أن يمنحنا الله - عز وجل - ولداً ذكياً
جميلاً ، وقد تحقق أملنا بمجيئك ، أرجو أن تحقق
آمالنا فيك دائماً ، وأسأل الله - سبحانه وتعالى -
أن يوفقك دائماً إلى الخير ، وأن تكون عبداً صالحاً ،
راجياً لك مستقبلاً مشرقاً ، وحياة سعيدة ، ونجاحاً
دائماً إن شاء الله .. ولك كل الحب ؟

والدك
فوزي خضر
ديسمبر ١٩٨٩م.

مجموعة أبطال الإسلام
٧

عمر المختار

فوزي خضر

رسـوم

الهام عبدالرازق



حينما نتصفح التاريخ العربى ، يطل علينا بوجوههم رجال سجلوا أسماءهم بدمائهم في سجل الخلود ، ودونوا كفاحهم البطولى فى سبيل تخليص بلادهم من المستعمر الأجنبى ، وضحوا من أجل ذلك بالجهد والمال والسنوات الطوال ، ومنهم من بذل حياته فداء لوطنه ودينه ، من هؤلاء الأبطال : البطل العربى المسلم ، الذى قاد مسيرة الثورة المسلحة من أجل التحرر فى ليبيا ، فعاش مجاهداً فى سبيل تحرير بلاده ، وظل طوال حياته مؤمناً بقضية الحرية .. حتى مات شهيداً .

كانت إيطاليا تطمع فى الأراضى الليبية .

وبدأت إيطاليا خطتها ، بإرسال أعداد من الايطاليين إلى ليبيا بقصد التجارة . وفى البداية ، كان عدد الإيطاليين فى ليبيا قليلا .

ثم ازداد عددهم .



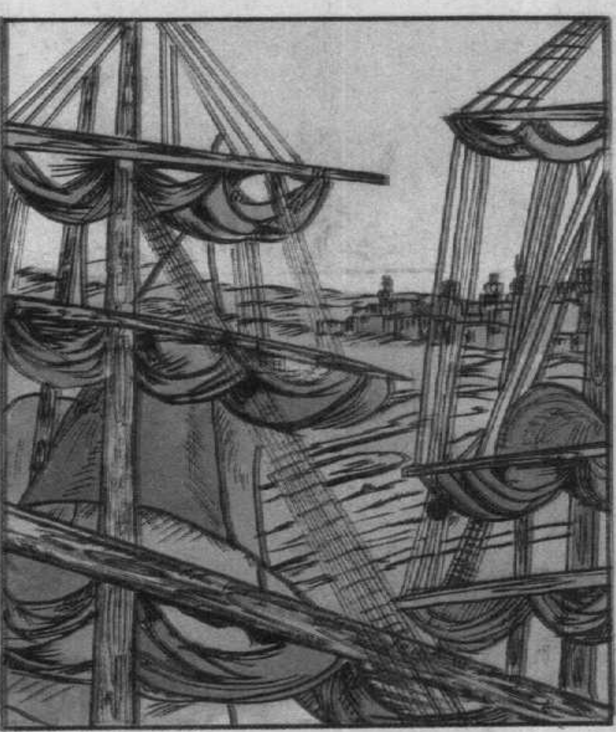
وتملكوا البيوت فى المدن الليبية .



كانت ليبيا آنذاك ولاية تابعة للدولة العثمانية يحكمها وال عثمانى يعيش فى قصر الحكم .



وبدأت إيطاليا هجومها على ليبيا ، بحجة حماية الرعايا الإيطاليين ، وأرسلت سفنها الحربية عبر البحر المتوسط .



وفى ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩١١ ، بدأ حصار الأسطول الإيطالى لميناء طرابلس بليبيا .



ثم بدأت السفن الإيطالية تطلق مدافعها على المدينة .



وانسحبت الحامية العثمانية من طرابلس بسبب كثافة قنابل الإيطاليين .

وهكذا أصبحت الظروف مهيأة أمام الغزاة الإيطاليين ، فأنزلوا جنودهم إلى الشاطىء .



ودخلوا طرابلس ، فأفزعوا أهلها .



وأخذ المجاهدون الليبيون يجمعون الناس ، من أجل الدفاع عن الأراضى الليبية ، ضد العدوان الإيطالى .
وسارع آلاف المسلمين إلى التطوع فى صفوف المجاهدين .



وفى نفس الوقت ، توالى وصول الإمدادات والنجدات إلى الإيطاليين ، حتى بلغ عددهم مائة وعشرين ألف جندى .
وكان مع الجنود الإيطاليين معداتهم وأسلحتهم الحديثة الكاملة .





ولم يأت يوم ١٩ من أكتوبر سنة ١٩١١ ، إلا وكان الإيطاليون قد احتلوا طرابلس وطبرق ودرنة وبنغازى .



وفى برقة استعد العرب للحرب . وكان شيخ زاوية القصور أحد الذين أسرعوا بأتباعهم للمشاركة فى الكفاح ضد العدو .



وكان هذا الشيخ هو البطل المجاهد عمر المختار .



وكلما مر على زاوية ، كان يتبعه شيخها بأتباعه .



فلما وصل بالقرب من برقة ، كان يتبعه عدة آلاف من المحاربين تحت قيادته .

وكان القائد العام هو الوالى التركى .

ولكن تحت ضغط الدول الأوروبية ، قامت مفاوضات بين مندوبى تلك الدول والعثمانيين .

ووقع العثمانيون مضطرين معاهدة فى فرنسا ، تقضى بسحب قواتهم من ليبيا .



وهكذا وجد العرب أنفسهم فى مواجهة الاحتلال .



ووقعت معـركـة عنيفـة في الجبل الاخضر، اسمها «معركة يوم الجمعة»أشترك فيها حكام ليبيا مع القبائل ، وساهم فيها بقية باقية من ضباط عثمانيين .


وانتصر العرب انتصارا باهرا فى هذه المعركة .
وانسحب الإيطاليون من الجبل الأخضر مرتدين إلى درنة .
ولكن الصعوبات أحاطت بالمجاهدين فلم يعد لديهم ما يكفى من سلاح .
وكذلك لم يعد معهم ذخيرة . ولم يكن هناك مصدر يمدهم بالطعام .



وعلى الحدود المصرية الليبية ، رفض الإنجليز عبور المصريين لمساعدة إخوانهم الليبيين .



كما منعوا التجارة بين البلدين . وأعادوا القوافل التجارية المصرية . وكان الإنجليز آنذاك يحتلون مصر .



واشتدت مقاومة المجاهدين ضد إيطاليا .



إلا أنه في نفس الوقت حل ميعاد حصاد مزروعات الليبيين .



فاضطر أغلب المجاهدين العرب إلى ترك الجيش لحصاد مزروعاتهم .

ووصلت الأوامر لبقية جنود العثمانيين بالانسحاب .





وكان العرب يعتمدون فى كفاحهم على السلاح الموجود مع العثمانيين ، وبانسحابهم لم يعد مع العرب إلا القليل من السلاح .



وفى هذه الظروف الصعبة ، أسندت قيادة المجاهدين إلى البطل عمر المختار .



وخطب عمر المختار فى المجاهدين ، ودعاهم إلى الاتجاه بقلوب كلها إيمان إلى الله عز وجل .


وشكل عمر المختار جيشاً وطنياً من المجاهدين الليبيين ، وعين قادة ومساعدين له .
وبدأ عمر فى تنفيذ خطته ، فكان ينتظر خروج الإيطاليين من معسكراتهم والابتعاد عنها .
ثم ينقض المجاهدون على من بقى فى المعسكر .
فيفاجئون الإيطاليين الموجودين فيه فيقتلونهم شر قتلة .
ثم يدخلون إلى مخازنهم . ويخرجون محملين بالغنائم الكثيرة ، منها كميات كبيرة من الطعام والسلاح والذخيرة .
وكذلك دواب النقل ، التى كانوا فى اشد الحاجة إليها .





وازداد هجوم المجاهدين على معسكرات الإيطاليين فاضطر القائد الإيطالى إلى تقسيم جيشه إلى جماعات تكون على استعداد لمقابلة هجوم المجاهدين ، والإغارة على مراكز العرب .



لكن عمر المختار فوت عليهم تلك الفرصة إذ لم يجعل له مكاناً ثابتاً فكان يتحرك دائماً بالمجاهدين .



أحياناً هم فى إحدى الواحات .



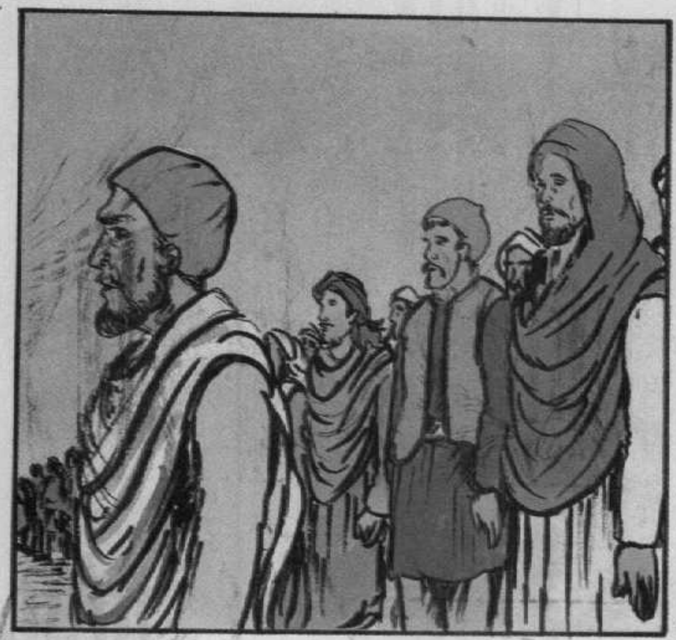
وأحياناً فى مغارة بأحد الجبال .



وأحياناً خلف إحدى الهضاب .



وكان عمر المختار يجلس ليعلم الأطفال القرآن .

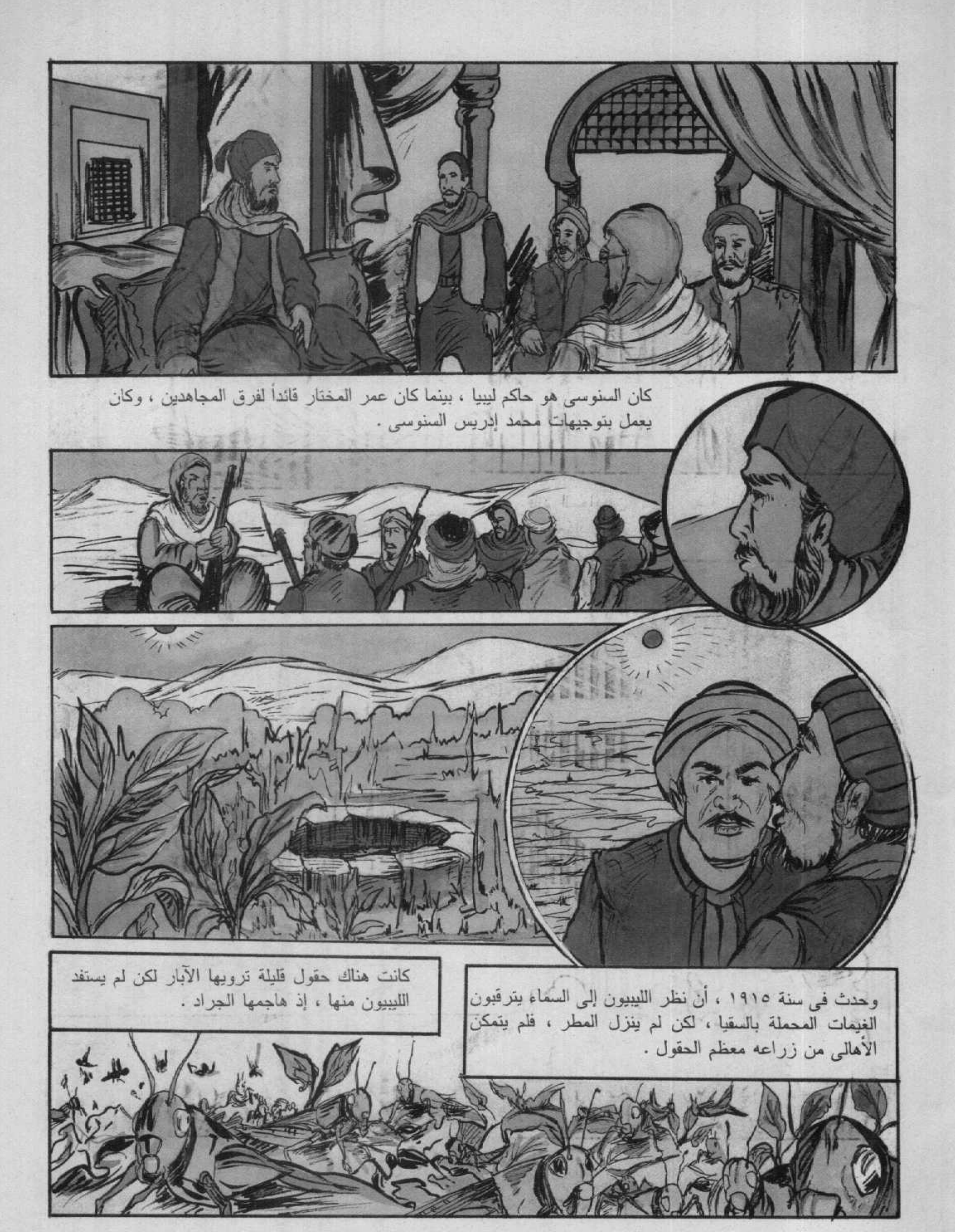


وكما كان قائد المجاهدين ، كان أيضا إمامهم ، فكما كانوا يحاربون خلفه ، كانوا أيضا يصلون خلفه .



وكان يقول لهم دائما : « إن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز : (ولينصرن الله من ينصره) فتمسكوا بدينكم الإسلامى ، حتى يكتب الله لكم النصر على عدوكم » .

فى ذلك الوقت قامت الحرب العالمية الأولى بين الدول الكبرى فكانت ألمانيا وإيطاليا وتركيا والنمسا فى جانب وبقية الدول فى الجانب الآخر . وكان أحد أمراء السنوسيين يحكم إقليم برقة وإقليم طرابلس ، فتوحدت كلمتهم على جعل حاكم برقة محمد ادريس السنوسى حاكما لكل من برقة وطرابلس معا .


كان السنوسى هو حاكم ليبيا ، بينما كان عمر المختار قائداً لفرق المجاهدين ، وكان يعمل بتوجيهات محمد إدريس السنوسى .
وحدث فى سنة ١٩١٥ ، أن نظر الليبيون إلى السماء يترقبون الغيمات المحملة بالسقيا ، لكن لم ينزل المطر ، فلم يتمكن الأهالى من زراعه معظم الحقول .
كانت هناك حقول قليلة ترويها الآبار لكن لم يستفد الليبيون منها ، إذ هاجمها الجراد .



ورحل عنها وقد أكل كل ورقة خضراء فيها . وانتشر مرض الطاعون . وابتهل الناس بالدعاء لله عز وجل .



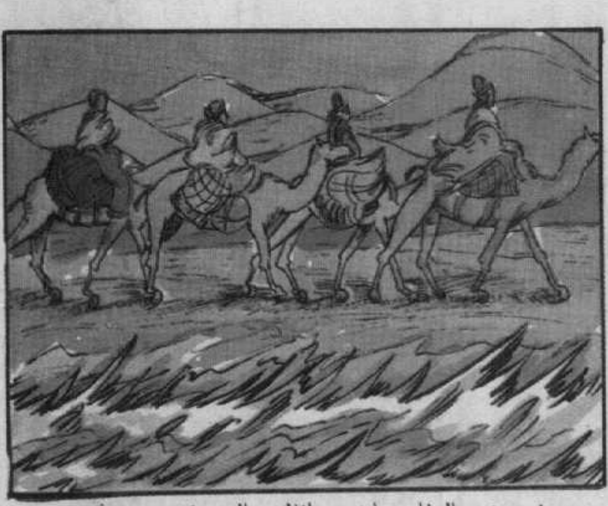
وانتشرت المجاعة بصورة رهيبة ، فأخذ الناس يتساقطون فى الطرقات ومات عدد كبير منهم .



وأجرى محمد إدريس السنوسى مفاوضات مع الإنجليز من جهة ، ومع الإيطاليين من جهة أخرى .



كان يهدف إلى إنهاء حالة الحرب ، واحترام الشعائر الإسلامية ، ورفع الأضرار التى لحقت بالليبيين ، وقد أبلغ عمر المختار بذلك .



ونجحت المفاوضات وانفك الضيق ، ورفعت الأضرار ، وعادت قوافل التجارة بين برقة ومصر .



وازداد حب الليبيين للسنوسى ، والتفوا حوله ، وسعوا إليه من كل أرجاء ليبيا .



وذات يوم أرسل الإيطاليون إلى السنوسى من يدس السم فى طعامه ، محاولة قتله والتخلص منه .



لكن الله عز وجل . كتب السلامة للقائد المسلم بكشف حيلتهم .

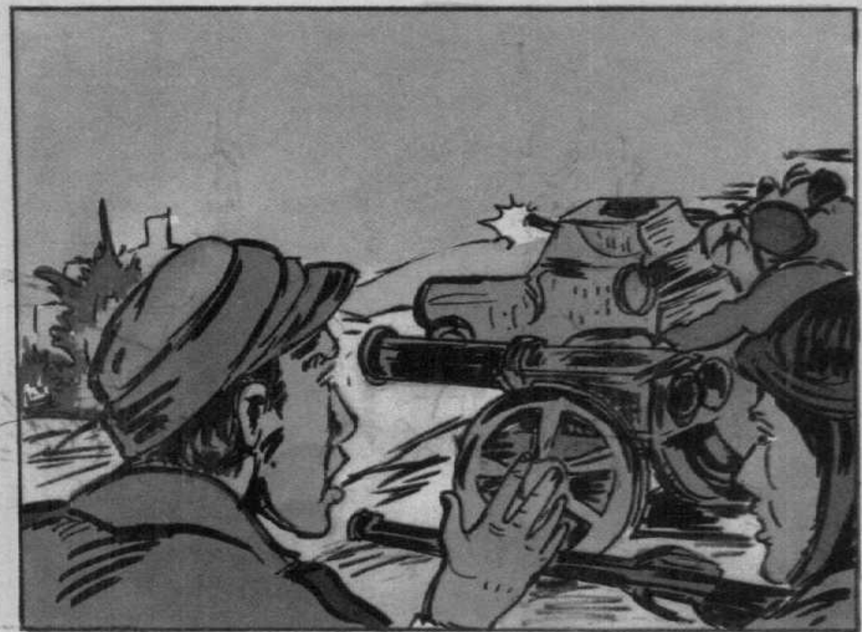


ثم حدث انقلاب فى الحكومة الإيطالية سنة ١٩٢١ ، وتغير قادة الجيش فى ليبيا .



وازدادت العلاقات سوءاً بين السنوسى والقادة الإيطاليين الجدد .

واضطر السنوسى للارتحال عن ليبيا إلى مصر ، بعد أن عين عمر المختار نائباً فى برقة ، وقائداً آخر نائباً له فى طرابلس .





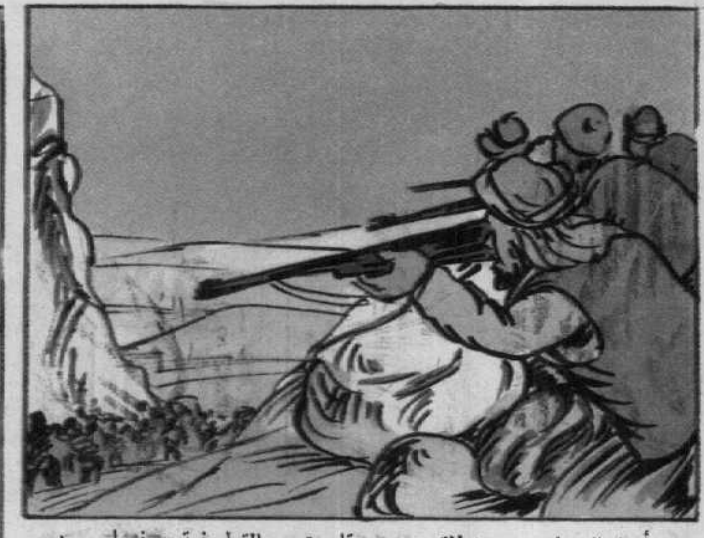
ولكن الإيطاليين سرعان ما استولوا أستيلاء تاما على طرابلس ، وقضوا على الثورة فيها ... وذلك فى سنة ١٩٢٣ .



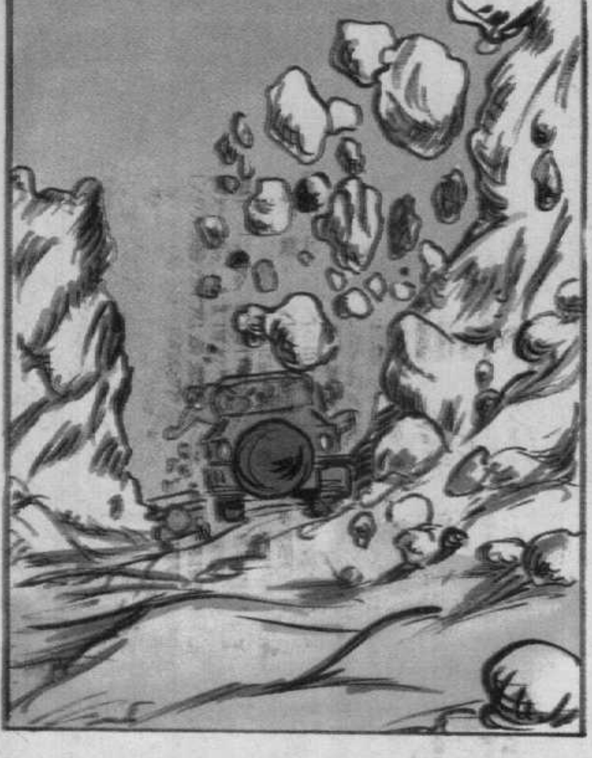
وزحفت الجيوش الايطالية، فاحتلت برقة، كما احتلت «إجدابية» التي هي مقر الامارة السنوسية.

فانسحب المجاهدون إلى زاوية القطوفية فى جنوب إجدابية ، وجعلوها قاعدة لهم .

وبذلك أصبحت برقة وحدها تحمل عبء الجهاد تحت قيادة عمر المختار . كانت معسكرات المجاهدين فى برقة .



وأخذ المجاهدون ينطلقون من قاعدتهم بالقطوفية ، فيهاجمون الإيطاليين في إجدابية ثم يعودون .



ثم وسع المجاهدون دائرة نشاطهم ، حتى شملت منطقة الجبل الأخضر كلها .



حينذاك ، أراد عمر المختار الاتصال بالسنوسي ليطلعه على ما وقع من حوادث ، ويتلقى منه التعليمات المفصلة بشأن الجهاد ضد العدو ، وأبلغ عمر المختار معاونيه بذلك . وقرر عمر المختار الذهاب للقاء السنوسي .



وفى نفس الوقت أصدر القائد الإيطالى العام فى بنغازى أوامره بالقبض على عمر المختار .



وسافر عمر المختار على قدميه عبر الصحارى والجبال والوهاد من ليبيا متجها إلى مصر



وأوشك عمر المختار أن يقع أسيراً فى أيدى الدوريات الإيطالية ، ولكن من يتق الله يجعل له مخرجا .



وقابل عمر المختار الأمير السنوسى فى القاهرة ، حيث تلقى منه التعليمات لمواصلة الجهاد .



ولم تكن رحلة عودة عمر المختار وأصحابه من السلوم فى مصر إلى برقة فى ليبيا خالية من الخطر ، إذ أبلغ الجواسيس الإيطاليون رؤساءهم بعبوره الحدود .

وأعد الإيطاليون ثلاث سيارات مصفحة ، كمنت لعمر المختار وأصحابه فى الطريق .. بقصد القبض عليه وأسره .







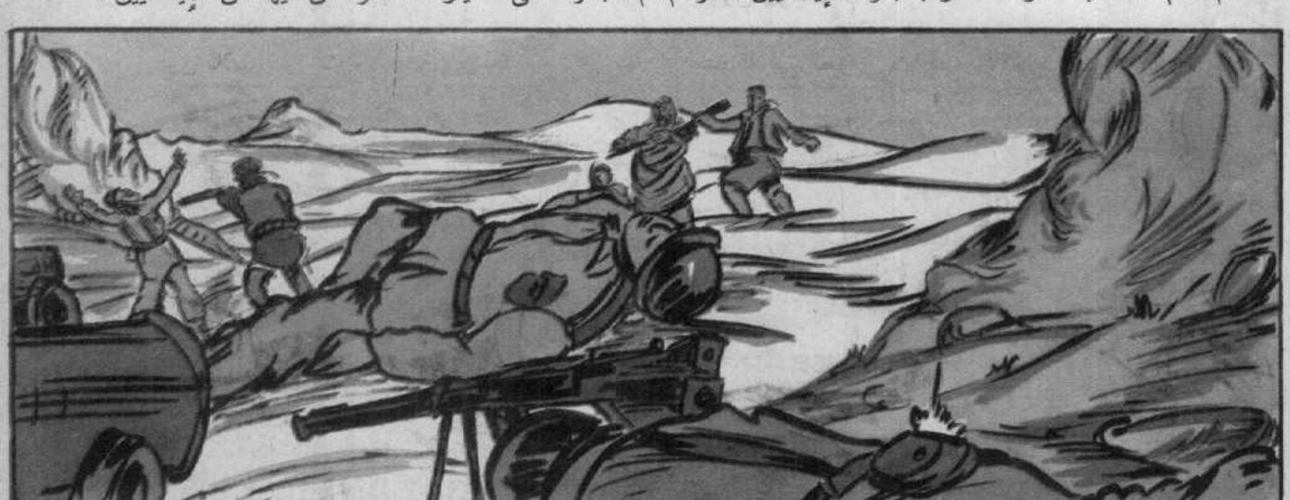


فلما اقترب عمر المختار وأصحابه الثلاثة برزت لهم السيارات فى الطريق وخرج الإيطاليون من السيارات بمدافعهم الرشاشة ، فاحتمى كل مجاهد خلف صخرة بجانب الطريق ، وأعد بندقيته .



وصمد عمر المختار ببندقيته لرشاشات الإيطاليين بينما اهتم أصحابه بإصابة عجلات السيارات فكان لهم ما أرادوا .

ثم اهتم أصحاب عمر المختار بالجنود الإيطاليين فقتلوهم ثم هجموا على السيارات فقتلوا من فيها من الإيطاليين .





وجعلت هذه الهزيمة الساحقة الإيطاليين يشعرون بالرعب فلم يتعرضوا لعمر المختار وأصحابه بقية الطريق . فوصلوا سالمين إلى الجبل الأخضر واستقبلهم المجاهدون بالتهليل والترحيب .

وازداد نشاط المجاهدين فى الجبل الأخضر ، مما جعل الإيطاليين يسحبون بعض قواتهم من برقة لمقاومة نشاط المجاهدين .

وحقق عمر المختار انتصارات عديدة على الإيطاليين . ولمع اسمه باعتبارة قائداً بارعاً فأخذت القبائل التى تسكن الجبل تنضم إليه .



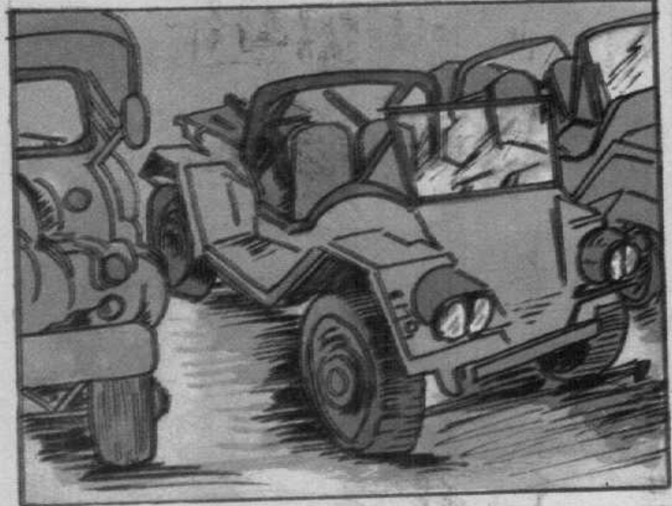
واجتمع كبار القادة الإيطاليين فى بنغازى ليبحثوا كيفية مواجهة الأعمال الفدائية للمجاهدين .



وعلموا أن المؤن والذخيرة يصلان إلى المجاهدين عن طريق واحة الجغبوب فى جنوب الأراضى الليبية ، فقرروا احتلالها .



وأعد الإيطاليون حملة كبيرة لاحتلال واحة الجغبوب ، وكانت تتكون من ألفين من الجنود .



كما أعدوا فصائل من السيارات المسلحة بالمدافع الرشاشة ، بلغ عددها ثمانين سيارة ، وست سيارات مصفحة .



هذا بالإضافة إلى ثلاثمائه وخمسين سيارة أخرى لنقل المؤن والمهمات .. وكذلك لنقل صناديق الذخيرة .



وانطلقت اثنتا عشرة طائرة لمعاونة الحملة فى مهمتها .



إلا أن الأمر لم يكن يستدعي كل هذا الاستعداد ، فقبل أن تتحرك الحملة ذهب غلام فأبلغ عمر المختار بما ينويه الإيطاليون .





فقام عمر المختار ، وأبلغ المجاهدين بما ينويه الإيطاليون .

وكلف رجلين بالذهاب بأقصى سرعة إلى واحة جغبوب لتنبيه أهلها إلى نية الإيطاليين .



ووصل الرجلان ، فأخبرا أهل الواحة أن الزعيم عمر المختار يأمرهم بإخلاء الواحة بأسرع ما يستطيعون .



وسارع أهل الواحة بجمع حاجياتهم ، ورحلوا عنها .



ووصل الإيطاليون إلى واحة جغبوب ، بجنودهم وسياراتهم ، فوجدوا الواحة خالية من أهلها .



ولم يكن بالواحة إلا دجاجة نسيهـا أصحابها .



وكان سقوط واحة جغبوب فى يد الإيطاليين ، مشكلة كبيرة بالنسبة للمجاهدين ، جعلت عمر المختار يقضى الليل مفكراً .



وجاء زعيم إحدى القبائل إلى عمر المختار .. فقال له : « أنت تعلم انيِّ غير مشارك فى هذه الحرب ، وقد حمّلنى الإيطاليون رسالة لك وما على الرسول إلا البلاغ » .



وأبلغه بالرسالة ، وفيها يعرض الإيطاليون على عمر المختار مبالغ طائلة من الأموال ، مع الوعد بتعيينه فى وظيفة ممتازة ، تضمن له حياة مرفهة .



لكن عمر المختار هب واقفا ، وقال لزعيم القبيلة : « هل خيل إليهم أنهم يستطيعون شرائى بالذهب والمركز الممتاز ؟ عد إليهم فأبلغهم أنى لا أبيع قضية بلادى بأموال الدنيا كلها » .



وجمع عمر المختار معاونيه ، لتنظيم العمليات القتالية فى المرحلة التالية .



وقرر إبعاد من لا يقدرون على حمل السلاح إلى منطقة بعيدة عن ميادين القتال .



وجاء غلام صغير إلى عمر المختار قائلا : « سيدى .. اسمح لى بالمشاركة فى قتال الايطاليين».



فابتسم عمر المختار .. وربت على كتفه وقال : « أعدك بأن ألحقك بصفوف المجاهدين حينما تكبر » .



وذهب بعض الرجال لمرافقة النساء والأطفال إلى مقرهم الجديد .



ونظر عمر المختار ، فراى الغلام مختبئا خلف إحدى الخيام .



فناداه فجاء إليه وقال له : « المجاهد الذى لا يطيع قائده ، يخطىء خطأ فادحا » .



قال له الغلام : « لكنى أريد أن أؤدى عملا نافعا » .

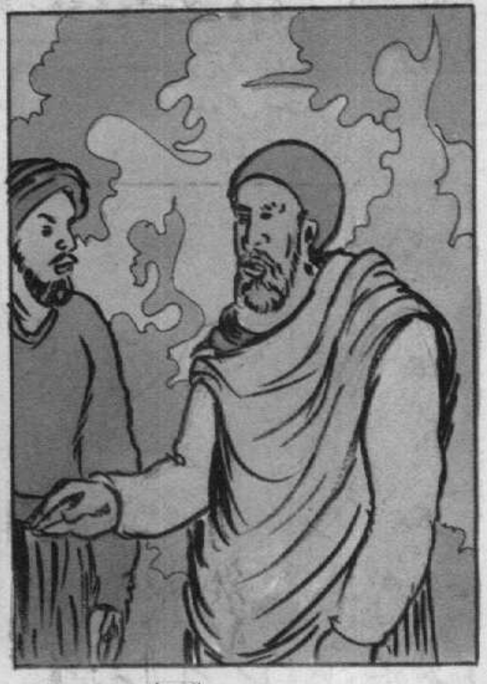


فقال له عمر المختار « العمل النافع لك ولنا الآن أن تذهب لتحمى نساءنا وأطفالنا .. فهم فى أشد الحاجة لأمثالك ، وأنت مسئول عنهم أمامى .. وهاك سلاحك .. وأعطاه خنجرا .




فأخذ الغلام الخنجر سعيداً ، وانطلق يعدو ليلحق بالنساء والأطفال الذين غادروا المعسكر .

وجمع عمر المختار المجاهدين وخطب فيهم ، فقال : إن الله ـ عز وجل ـ يقول فى كتابه الكريم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .



ودعا عمر المختار المجاهدين إلى التضحية فى سبيل الوطن .



ووزع عدداً كبيراً من (قرب) الماء على المقاتلين ، وتأهبوا للالتحام مع الإيطاليين فى معارك فاصلة .

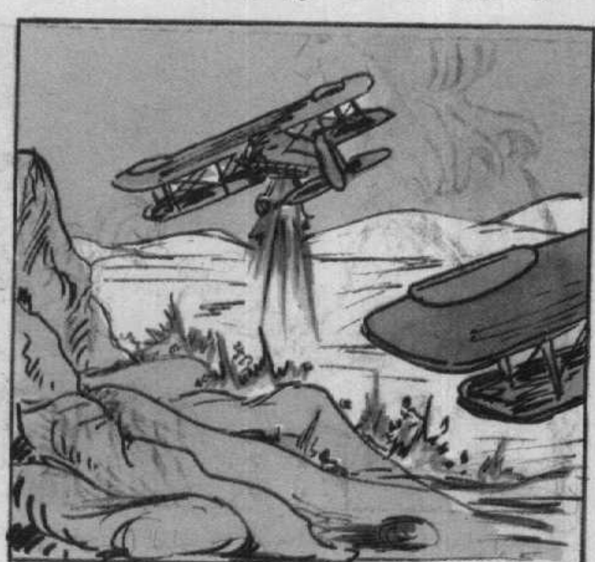


وسرعان ما اشتبك المجاهدون مع الإيطاليين فى معارك دامية فى شهر يوليو سنة ١٩٢٧ .





وفى إحدى المعارك أحاطت مجموعة من المجاهدين بالإيطاليين ، فقتلوا منهم أعدادا كبيرة . ثم وصل إلى ساحة المعركة عدد من السيارات المصفحة الإيطالية .



وأرسل الإيطاليون عددا من طائراتهم تلقى قذائفها على المجاهدين .



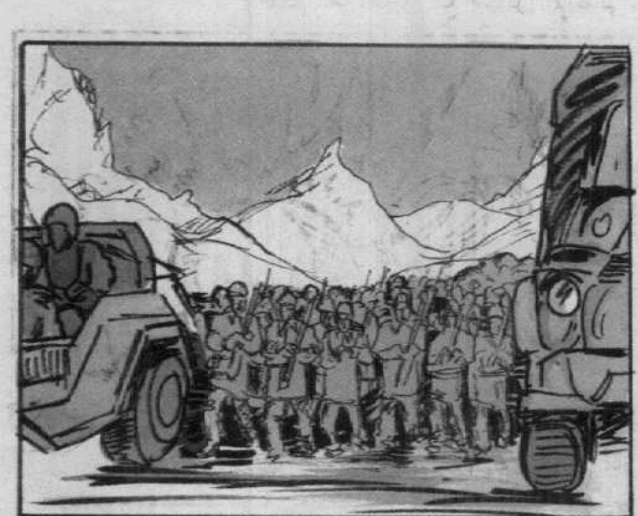
وفى النهاية تغلب الإيطاليون فى تلك المعركة ، نتيجة لعددهم الكبير بالإضافة إلى مدافعهم الضخمة، وسياراتهم المصفحة وطائراتهم ، فانسحب المجاهدون .

لم ييأس المجاهدون ، وإنما عادوا إلى معسكرهم ، ليستجمعوا قواهم مرة أخرى ، ثم ينطلقوا للجهاد ضد المستعمرين .



وأعد الإيطاليون خطة الاستيلاء على «فزان» واحتلالها .

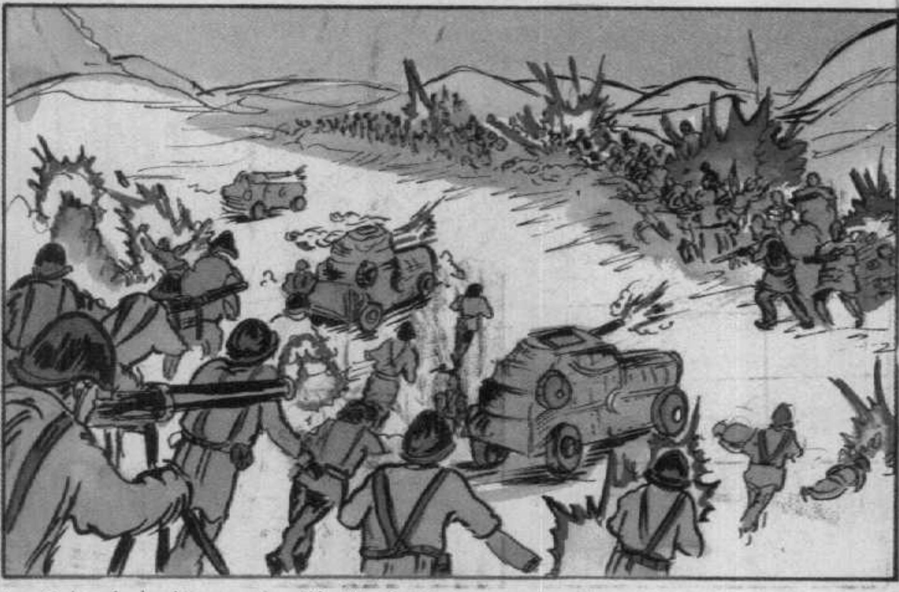
وخرج الجيش الإيطالى فى قسمين ، قسم من منطقة اسمها «غدامس» والقسم الآخر خرج من الجبل الأخضر .







وعين القائد جرازياني قائدا للجيش الإيطالى فى ليبيا .



والتحم المجاهدون مع الجيش الإيطالى فى معركة دامية ، استمرت خمسة أيام .

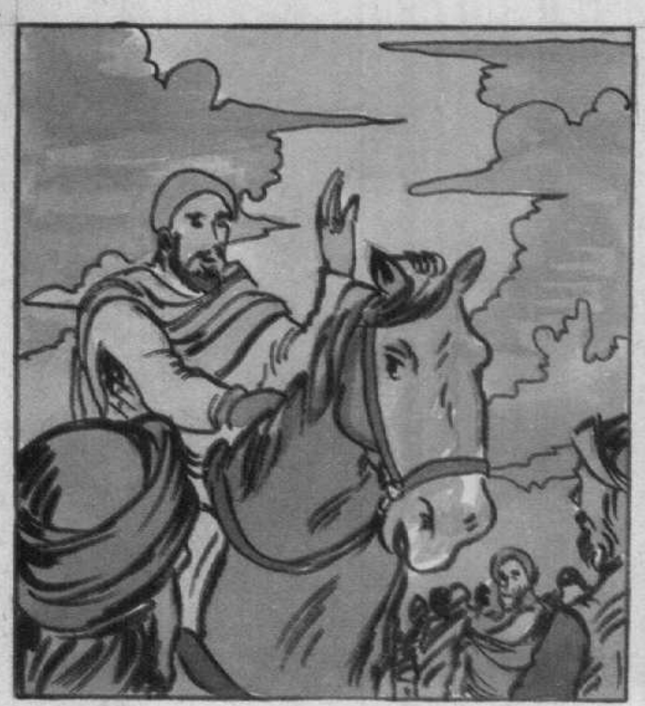


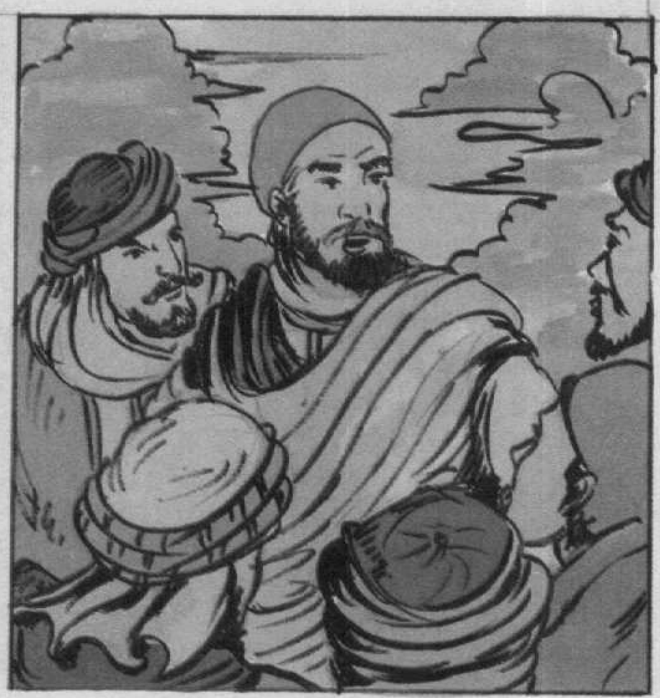
وانهزم الإيطاليون شر هزيمة ، فتقهقروا وانسحبوا من ساحة المعركة .

وعاد المجاهدون سعداء إلى معسكرهم .

وجاء أحد الرجال فأبلغ عمر المختار أن الجيش الإيطالى قد بدأ تحركه منذ ثلاثة أيام ، متجها إلى فزان ، بقصد احتلالها .







فأمر عمر المختار رجالة بالاستعداد فوراً ، لملاقاة جيش الإيطاليين .

وتحرك عمر المختار بالمجاهدين ، الذين بلغ عددهم ألفا وخمسمائة مجاهد ، منهم
أربعمائة فارس .



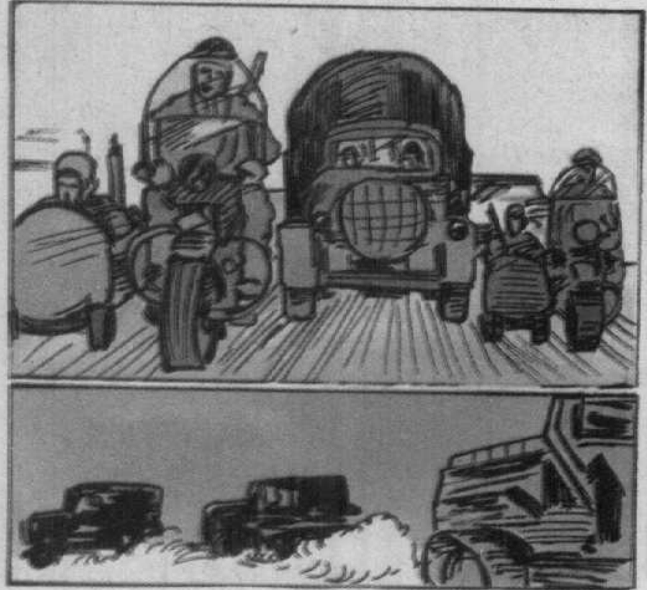
كان على الجيش الإيطالى أن يمر فى طريقه من بين جبلين ما يعرفان باسم الجبال السود ، وهناك كمن المجاهدون فى انتظاره .



وانقض المجاهدون فجأة على الإيطاليين .



وهرب الايطاليون بسياراتهم، تاركين وراءهم جيشهم، الذي وقع اكثره في قبضة المجاهدين، فقتلوهم عن آخرهم.

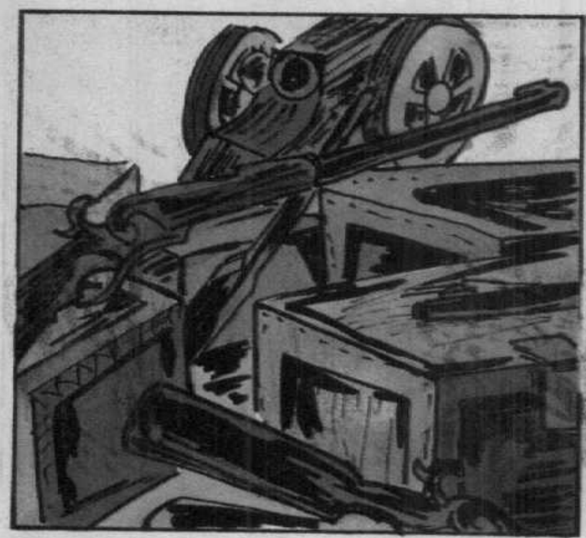


وجدد الإيطاليون محاولاتهم فأقبلت قوات كبيرة من جهات متعددة .

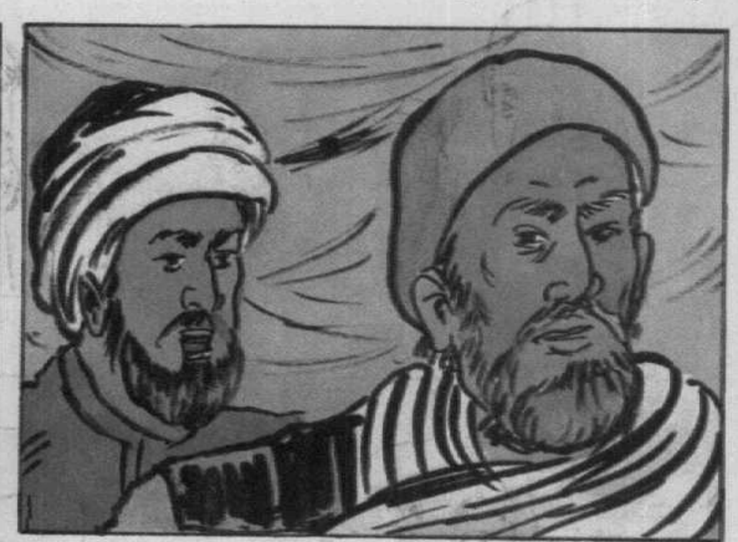


ودارت معارك عنيفة بين المجاهدين والإيطاليين .





وانتصر المجاهدون فى كل تلك المعارك وقتل عدد كبير من جنود الإيطاليين ، وهرب الباقون بعد أن تركوا وراءهم غنائم وأسلابا أخذها المجاهدون .



وبالرغم من انتصار المجاهدين ، إلا أن الصعوبات كانت شديدة . فذات يوم ، جاء رجل لعمر المختار ، وقال له : « تصرف .. فأنت قائدنا » .



كان الإيطاليون قد قطعوا كل السبل بين المجاهدين فى الجبل الأخضر وبرقة ، وبين مصر فى الشرق .







وأصبح المجاهدون فى عزلة تامة .: وجلس عمر المختار يفكر .

وبالرغم من قسوة هذه الظروف ، فإن اليأس لم يتطرق إلى قلب عمر المختار ، وإنما كانت على وجهه ابتسامة الأمل .



وجاء المجاهدون يشكون إليه قلة الذخيرة وقلة الزاد .



فقال لهم : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) .



ودعاهم إلى الصمود والجهاد ، والقتال برجولة وقوة ، وعدم الضعف أمام أعدائهم .



ودعا عمر المختار المجاهدين إلى الاستعداد للتحرك ، من أجل محاربة الأعداء .



وقال لهم : « إن كان زادنا قد قل ، فسوف نحصل عليه من الإيطاليين ، وكذلك الذخيرة » .



وخرج المجاهدون من معسكرهم ، متوجهين إلى الإيطاليين ، لقتالهم فى مدينة درنة .



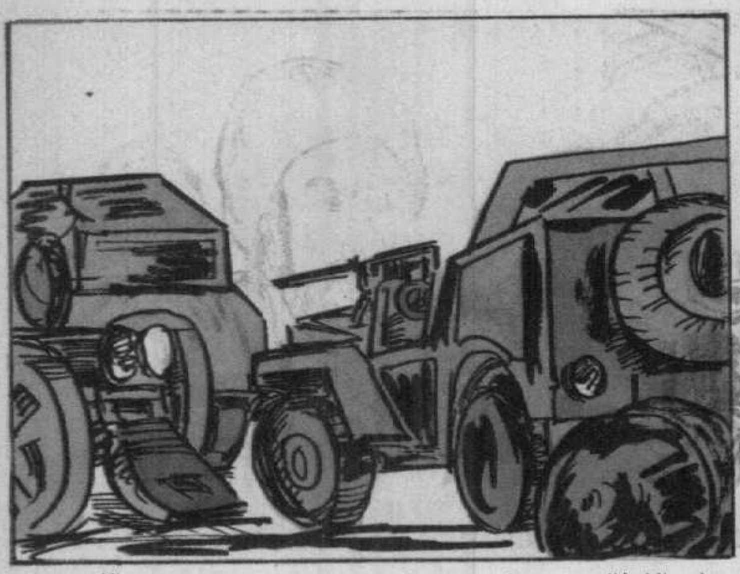
واشتبك المجاهدون مع الإيطاليين فى معركة شديدة استمرت لمدة يومين بالقرب من درنة .



وكتب الله ـ عزوجل ـ النصر للمجاهدين . فأخذ الجنود الإيطاليون يهربون من ساحة المعركة .



وحينما هرب الإيطاليون ، نزل المجاهدون
إلى الساحة وهم يهتفون « الله أكبر » .



وترك الإيطاليون عددا من السيارات ، والمدافع ، وصناديق الذخيرة .

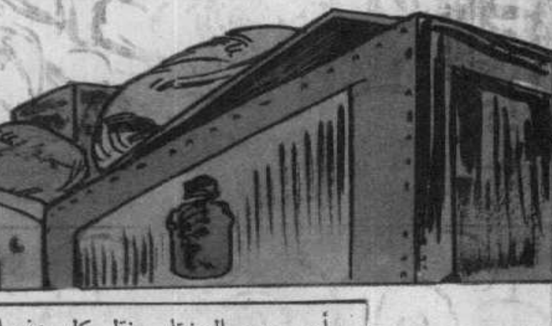


بالإضافة إلى عدد من الجمال ودواب النقل ، التى كان
المجاهدون فى حاجة إليها .



ووجدوا بعض سيارات النقل المحملة بالمهمات . كما وجدوا
أطعمة كثيرة فى إحدى هذه السيارات ووجدوا فى سيارة أخرى
ملابس وأدوية لمعالجة الجرحى .





وحمل بنفسه منها أحد الصناديق فسارع أحد
المجاهدين ليحمل الصندوق عن عمر المختار .



وأمر عمر المختار بنقل كل هذه الأشياء
إلى المعسكر .



لكن القائد رفض أن يترك الصندوق للرجل ، وقال له : على الجميع أن يعملوا .



ووضع المجاهدون كل الصناديق فى السيارات وعلى ظهور الجمال والدواب .



وساروا بكل ذلك ، وهم يجرون وراءهم أربعة من المدافع الجبلية .



وكان الناس يشيرون إليه ويقولون : « هذا هو عمر المختار ، الذى قهر جيوش الإمبراطورية الإيطالية » .



وفى ذلك الوقت ، خرجت قافلة من السلوم ، محملة بمختلف العتاد والمؤن ، تقصد الجبل الأخضر لإمداد عمر المختار بما يحتاج إليه المجاهدون .




وعلم الإيطاليون بخروج القافلة من السلوم ، ودخولها إلى الأراضى الليبية .

وأمر القائد بإرسال السيارات المسلحة للاستيلاء على القافلة .




ولكن الأخبار وصلت عمر المختار عما ينويه الإيطاليون . فخرج من خيمته ، ونادى المجاهدين ، فتجمعوا أمامه ، حيث أبلغهم بنية الإيطاليين فى الاستيلاء على القافلة القادمة إليهم بالمؤن والسلاح .



وأمر عمر المختار أن يحضر الفرسان أسلحتهم ، ويملاوا بنادقهم بالذخيرة . ثم أمرهم بالاستعداد للتحرك بالجياد



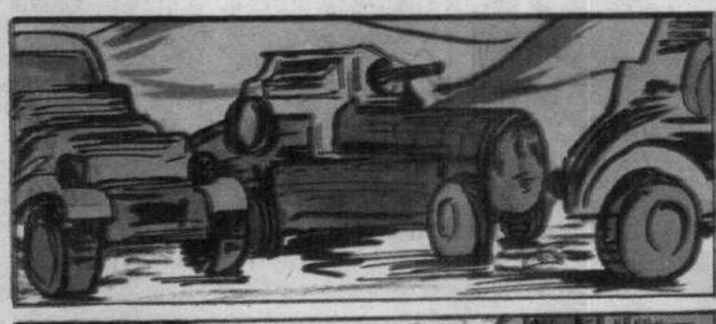
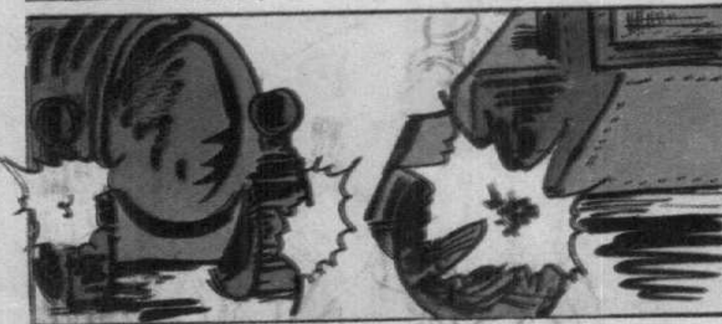

ثم خرج مسرعا مع فرسانه ، لكى يلحقوا بالقافلة .



وفى نفس الوقت ، كانت السيارات الإيطالية تشق طريقها عبر الصحراء ، فاختفى المجاهدون بالقرب من إحدى الهضاب .
كان المجاهدون فى انتظار وصول سيارات الإيطاليين . ثم ظهرت السيارات على البعد .



وأصدر عمر المختار أوامره إلى المجاهدين ، فاتخذ كل منهم مكانه .

واقتربت السيارات من الهضبة التى يربض المجاهدون فى سفحها وأطلق المجاهدون نيران بنادقهم على عجلات السيارات ، فتوقفت .





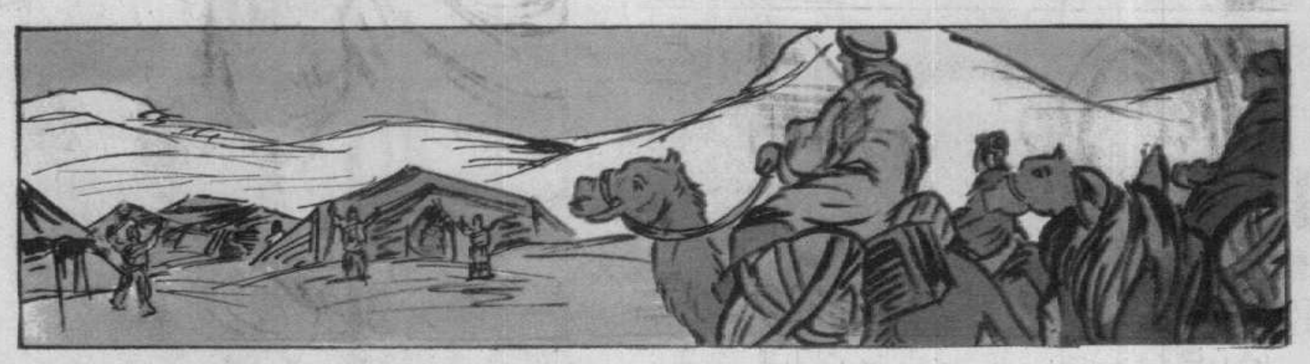
ثم خرجوا من مكمنهم ، فأطلقوا الرصاص على الإيطاليين . وتمكن المجاهدون من القضاء تماما على القوة الإيطالية ، فأبادوها عن آخرها . ولم يكتف المجاهدون بذلك ، بل أشعلوا النار فى السيارات الإيطالية فأحرقوها .



ثم امتطى المجاهدون خيولهم ، وأكملوا طريقهم لملاقاة القافلة .



وظهرت القافلة على البعد أماما المجاهدين فملأت الفرحة قلوبهم



وسار عمر المختار بجواده يتقدم القافلة، وفرسانه محيطين بها يحرسونها. لكن قلوبهم لم تطمئن إلا عندما لمحوا معسكرهم على البعد.



واستقبلهم زملاؤهم من المجاهدين بالتهليل والترحيب .



وهكذا وصل الزاد والسلاح إلى المجاهدين .



ووقف عمر المختار فقال للمجاهدين : « إن الله - سبحانه وتعالى - قد رزقكم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب» .



ودعا عمر المختار أصحابه قائلاً : « علينا أن نصلى ركعتين حمدا وشكرا لله - عز وجل - على ما رزقكم » .



وأعلنت الحكومة الإيطالية توحيد طرابلس وبرقة تحت إدارتها .



كما عينت المارشال «بادوليو» حاكما عاما على ليبيا ، فجاء إليها فى شهر يناير سنة ١٩٢٩م .



وكان مجيء بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة القتال الحاسمة بين الإيطاليين والمجاهدين فى برقة والجبل الأخضر

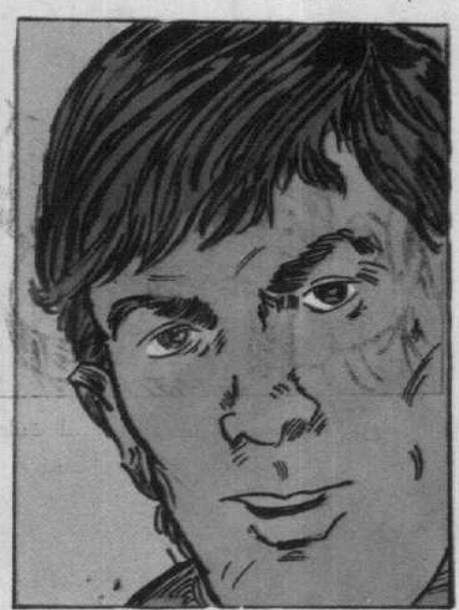






جمع بادوليو القادة الإيطاليين ، ليوضح لهم خطته فى مقاومة المجاهدين .

ثم أصدر أوامره بتخفيض عدد أفراد الجيش الإيطالى فى الأراضى الليبية . فتعجب القادة من هذا الأمر الغريب .



فقال لهم : « إننى أريد عددا يكفى للقيام بحرب العصابات ، بنفس الأسلوب الذى يقاتل به المجاهدون » .



وأصدر أوامره بمد الطرق فى الجبل الأخضر ، حتى يسهل عليه أمر التنقلات العسكرية .



وقال بادوليو للقادة الإيطاليين : « حين يتم تمهيد تلك الطرق ، سوف أقوم بهجوم شامل كاسح ، فأقضى على مقاومة الليبيين نهائيا » .


من أجل ذلك سعى بادوليو لمفاوضة عمر المختار ، بقصد تهدئة الأحوال .


وأبلغ عمر المختار بطلب القيادة الإيطالية فى أمر توقف القتال ، ولو إلى حين . وقرر عمر المختار قبول طلب السلطات الإيطالية .


لكنه لم يوافق إلا بعد أن اشترط شروطا ، عاد بها الإيطالى إلى قيادته ، لكى يطلع رؤساءه عليها .


وجاء ثلاثة مندوبين من الحكومة الإيطالية ، خيروا عمر المختار بين أمور ثلاثة :



إما أن يذهب إلى الحجاز ، أو يذهب إلى مصر ، أو يبقى فى برقة وتعطيه الحكومة الإيطالية مرتبا ضخماً ، ويكون له منصب هام وأموال طائلة وحياة هادئة ، ويوقف الحرب . لكن عمر المختار رفض هذه العروض الثلاثة ، وأصر على الجهاد .



واستؤنفت المفاوضات مرات عديده ، ثم انتهت إلى توقيع اتفاق هدنه بين الإيطاليين وعمر المختار ، لمدة شهرين .



وأبلغ عمر المختار زملاءه المجاهدين باتفاق الهدنة ، فمنهم من فرح . ومنهم من استاء .



وأرسل بادوليو رسالة لعمر المختار يبلغه فيها أنه مستعد لقبول عودة الأمير السنوسى إلى برقة ، مادامت هذه رغبة المجاهدين .



والواقع أن ذلك الأمر كان مراوغة من بادوليو لكسب الوقت ، حتى يستعد لشن هجوم شامل على المجاهدين .



وطلب عمر المختار تحديد موعد لعودة السنوسى ، وانتظر رد بادوليو ، فلم يرد عليه ، وعلم أنه يماطله حتى يتأهب لمعاودة القتال .





وبادر عمر المختار بإصدار نداء إلى أبناء وطنه فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ ، قال فيه : « ليعلم كل مجاهد ان غرض الحكومة الإيطالية بث الفتن والدسائس بيننا » .



وقال : « وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية » .

واستعد المجاهدون للقتال .



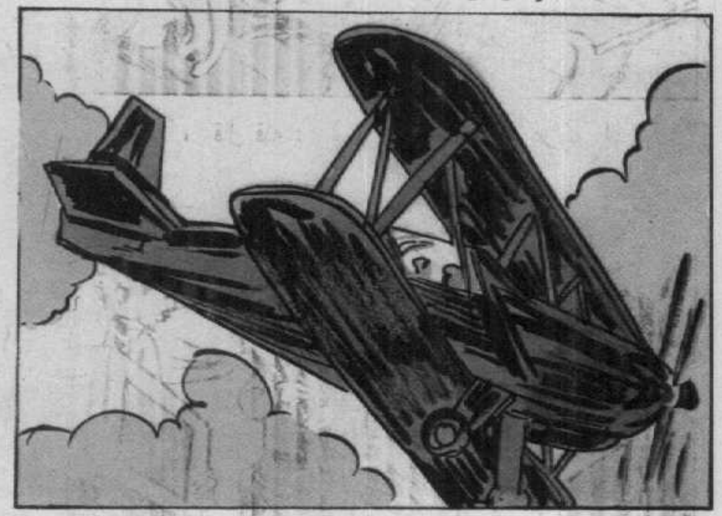
وعين على برقة حاكم جديد نائبا للماريشال بادوليو . ولم يكن هذا الحاكم إلا القائد جرازيانى .



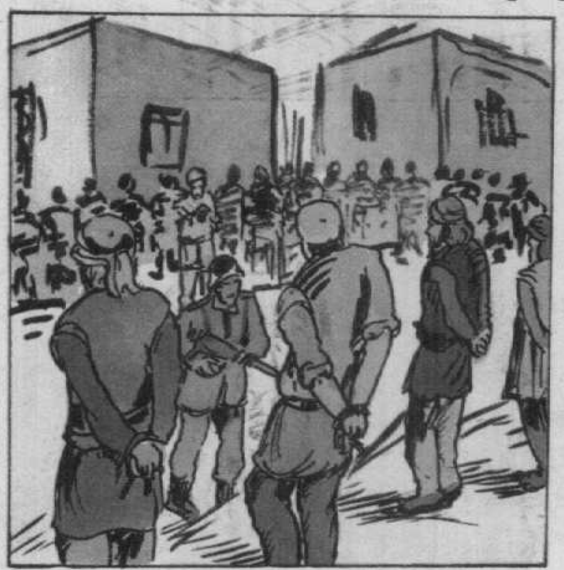
فجهز جرازيانى أعظم قوات فى استطاعته استخدامها بصورة سريعة .



وأمر بإغلاق الحدود الليبية المصرية إغلاقا تاما ، حتى يمنع الزاد والعتاد عن المجاهدين .



وفى أبريل سنة ١٩٣٠ كون جرازيانى المحكمة الطائرة ، وأسماها كذلك لانتقال هذه المحكمة على متن الطائرات من مكان لآخر .



وذلك لإصدار الأحكام السريعة ، وتنفيذها فى التو والساعة .



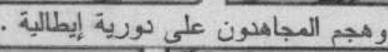
وفي نفس الوقت، جمع المسالمين من الأهالي الليبيين، فحشدهم في معتقلات ممتدة من العقيلة في شرق ليبيا حتى السلوم.



ثم أخذ يعمل على تفريق المسلمين ، وإبعادهم عن الزوايا السنوسية ومصادرة أملاك الزوايا .







وهجم المجاهدون على دورية إيطالية .



ولكن جرازياني اتخذ أسلوب النجدات السريعة ، وذلك بإرسال فرق متتالية من قواته إلى مكان المعركة ، مما جعل المجاهدين ينسحبون .



وجمع عمر المختار كبار معاونيه ، وابلغهم انه ينوى تغيير خطته فى مقاومة الإيطاليين.



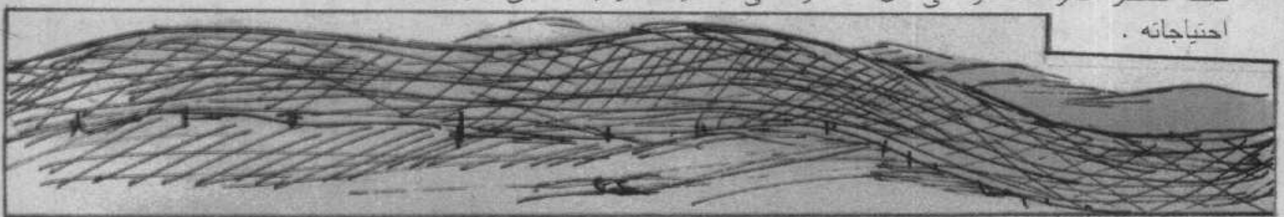
فكان يفاجىء القوات التى يرسلها الإيطاليون للكشف والاستطلاع . أو التى تحرس العمال المكلفين بإنشاء الطرق.



بينما أحكم جرازياني تدابيره العسكرية ، فاستولى على منطقة الفايدية كلها وبذلك أغلق طرق إمداد المجاهدين من الناحية الغربية لمعسكرهم .



لذلك اضطر عمر المختار الى نقل معسكره الى الناحية الشرقية ، حتى يكون قريبا من الحدود المصريه ، فتحصر على احتياجاته .



لكن جرازيانى أمر بإقامة حائط من الأسلاك الشائكة على امتداد الحدود الشرقية بين ليبيا ومصر .



وظهر أن المعركة ميئوس منها ، لكن عمر المختار لم ييأس ، بل دعا أصحابه المجاهدين إلى مواصلة الجهاد .



وهاجم المجاهدون مراكز الإيطاليين فى المنطقة الوسطى من ليبيا ، واستولوا على عدد كبير من الجمال ، التى أفادتهم في نقل احتياجاتهم ، كما اتخذوا منها طعاماً لهم .



ونقل جرازيانى بالسيارات أعداداً كبيرة من الجنود إلى الناحية الشرقية ، بالقرب من معسكر المجاهدين .



ودارت معارك عديدة ، ثم أحاط الايطاليون بأحد معسكرات المجاهدين فى وادى سافيه .



ووقعت مع مجاهدى ذلك المعسكر معركة « كرسة » وفى تلك المعركة ، استشهد الفضيل بوعمر الذى كان قائدا لذلك المعسكر ، وكان خير قواد عمر المختار .



وفى شهر أكتوبر ، وقعت معركة كبيرة بين المجاهدين والإيطاليين .

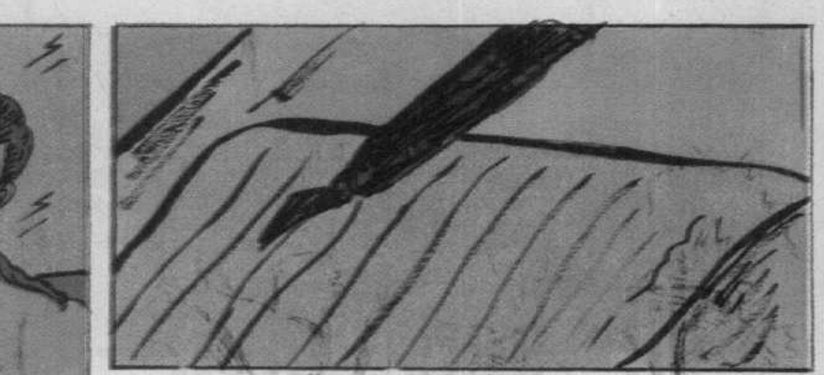


وبعد المعركة ، عثر الإيطاليون على نظارة عمر المختار .

كما عثروا على جواده ميتا فى ميدان المعركة .



وبحثوا عن عمر المختار بين القتلى جميعهم ، فتأكدوا أنه لا يزال على قيد الحياة .



وأصدر جرازيانى منشورا ضمنه هذا الحادث ، محاولا القضاء على أسطورة المختار الذى لا يقهر أبدا .



وقال : « لقد أخذنا اليوم نظارة المختار ، وغدا نأتى برأسه » .



وأمر جرازيانى جيوشه بالاستعداد للزحف إلى واحة الكفرة التى تمثل المنفذ الليبيى الذى ينطلقون منه إلى الحدود المصرية .



وتجمع المجاهدون فى واحة للهوارى شمال الكفرة لملاقاة الجيش الإيطالى الزاحف ، قبل وصوله إلى واحة الكفرة .





وعلم جرازيانى بتجمع المجاهدين فى واحة الهوارى .

فأمر بتغيير اتجاه مسيرة جنوده واتجه الجيش الإيطالى بأكمله إلى واحة الهوارى ، لمقاتلة المجاهدين .



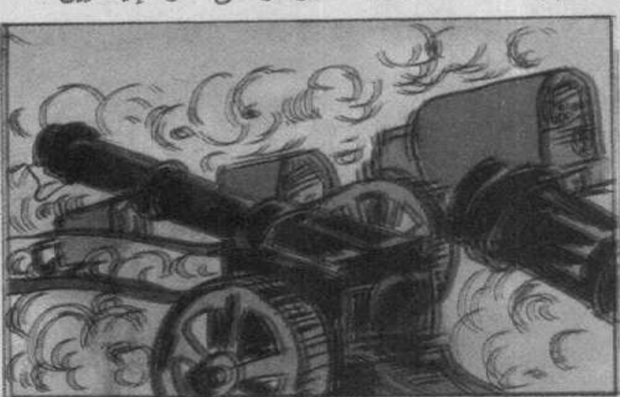
واشتبك المجاهدون فى معركة ضد الإيطاليين بجيوشهم الجرارة،واستخدم الإيطاليون الطائرات فى تلك المعركة التى استمرت لمدة ثلاث ساعات .



واستشهد المجاهدون الذين كانوا فى واحة الهوارى ، ولم يبق منهم إلا ثلاثة عشر رجلا ، وقعوا فى أسر الإيطاليين .



لكن الإيطاليين قتلوا الأسرى الثلاثة عشر .



وانطلق الجيش الإيطالى إلى الكفرة ، بعد أن أصبح الطريق مفتوحا امامهم.



ووصل الجيش الإيطالى إلى حدود الكفرة وبدأ فى إطلاق القنابل على سكانها الآمنين .



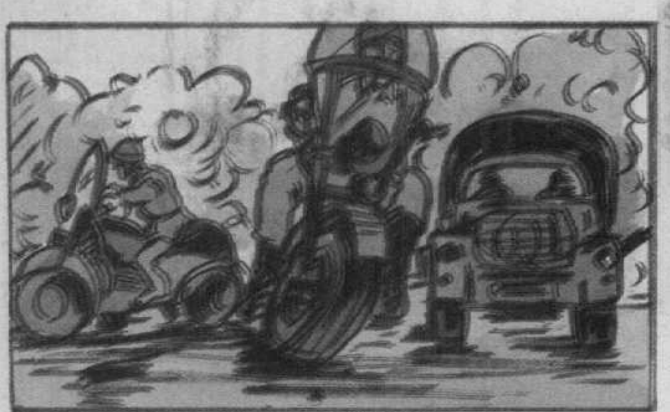
ثم دخل الجيش الإيطالى إلى الكفرة ، بعد أن هدم عددا كبيرا من بيوتها ، وقتل ضحايا كثيرين .





وفى أواخر يناير سنة ١٩٣١ ، وصل الماريشال بادوليو إلى الكفرة بطائرة حيث كان القادة وكبار الضباط فى انتظاره ونظر بادوليو نظرة انتصار وغرور ورفع يده يحيي معاونيه .





وأمر بادوليو قواده بمطاردة قوات المجاهدين . وخرجت الدوريات الإيطالية تجوب الصحارى .

وتفتش عن المجاهدين فى المنازل . وتبحث عنهم فى الهضاب والجبال .







وعاد الإيطاليون من هذه المطاردة . ومعهم خمسون أسيرا .





وأوقف الايطاليون الأسرى فى عدة صفوف . وأخرجوا منهم اثنى عشر مجاهداً . وأعدموهم فى الحال رمياً بالرصاص .



كان لسقوط الكفرة أثر بالغ على عمر المختار .

فقد استطاع جرازيانى بذلك إغلاق الحدود المصرية إغلاقاً تاماً ، بمد الأسلاك الشائكة على طول هذه الحدود حتى الجغبوب .

كما أنشأ المراكز المسلحة على طول الحدود .





وانقطع تماما مجىء أية إمدادات لعمر المختار ، وأحاطت به الصعوبات من كل جانب .

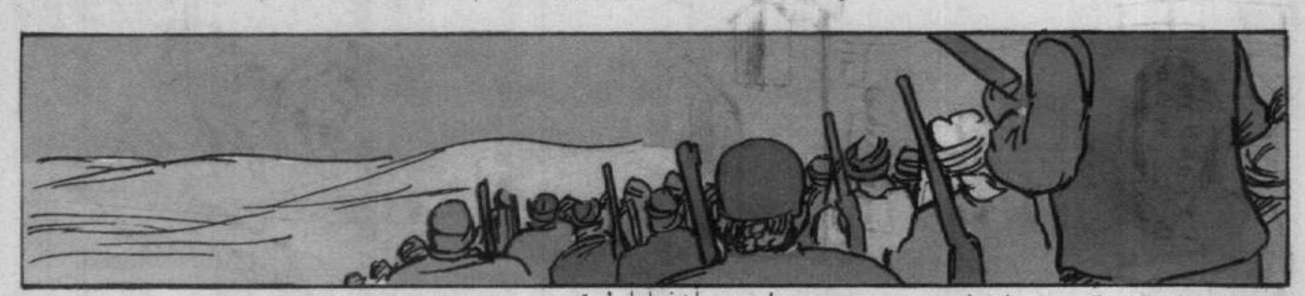
وجاء بعض المجاهدين ، يشكون لعمر المختار قلة الزاد والسلاح والذخيرة .

فقال لهم عمر المختار : « اصبروا وصابروا وجاهدوا ، فإنكم فى سبيل الله » .

وقال لهم : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .



وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . وقال عمر المختار للمجاهدين : « أنتم تقاتلون دفاعاً عن كل ذلك » .



وهب المجاهدون بالرغم مما يعانون منه من صعوبات ، وأخذوا أسلحتهم . وخرجوا من معسكرهم مجاهدين فى سبيل الله سبحانه وتعالى .





واشتبك المجاهدون مع إحدى الدوريات الإيطالية . ودارت معركة بين الجانبين ، انتهت بانتصار المجاهدين .

وكان على عمر المختار أن يذهب إلى مراكز المجاهدين الأخرى لتجميعهم ، فخرج ومعه أربعون فارساً من أصحابه .

وكان يوجد فى الجبل الأخضر واد كبير ، اسمه وادى الجريب ، صعب المسالك ، كثير الغابات .


وكان لابد من اجتيازه ، ليصل عمر المختار وأصحابه إلى الناحية الأخرى .

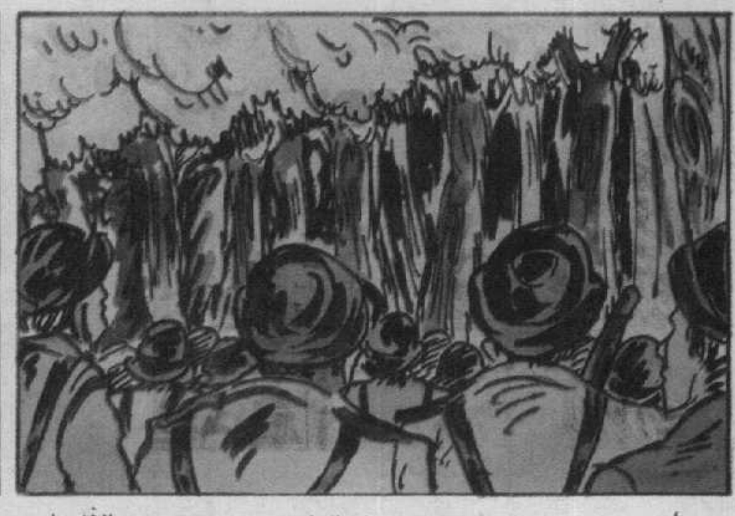

وبات عمر المختار وأصحابه ليلتين فى ذلك الوادى .


وكانوا يشقون طريقهم بالنهار بين تلك الأشجار ، ليعبروا الوادى .


وعلم أحد الضباط الإيطاليين بهذا .

فأمر بخروج قواته فوراً .


فأسرعت القوات الإيطالية ، بالتوجه إلى وادى الجريب ، حيث ضربت الحصار حوله وطوقته .




وبدأت بعض القوات الإيطالية تدخل الوادى ، وتجوس بين الأشجار .




فما شعر عمر المختار ومن معه ، إلا وهم وسط الأعداء الإيطاليين .



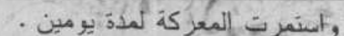

فأمر عمر المختار المجاهدين بالهجوم بشدة على أقرب مجموعة لهم . وهجم المجاهدون على الإيطاليين بشراسة .



واستمرت المعركة لمدة يومين .



وبالرغم من كثرة الإيطاليين ، إلا أن عمر المختار استطاع اختراق صفوفهم .



خرج عمر المختار من وادى الجريب ، ومعه من بقى من أصحابه وأسرعوا بالابتعاد عن الوادى الذى يحاصره الإيطاليون .



وبجانب إحدى الهضاب ، فاجأت عمر المختار وأصحابه قوة إيطالية أخرى ، وكانت ذخيرتهم قد أوشكت على النفاد .





واضطر المجاهدون للاشتباك مع القوة الإيطالية فى معركة جديدة .
وسقط المجاهدون الذين كانوا مع عمر المختار جميعهم شهداء .



وأصاب الرصاص جواد عمر المختار ، فسقط المختار وسقط الجواد فوقه .



فتمكن عمر المختار من التخلص والخروج من تحت الجواد .





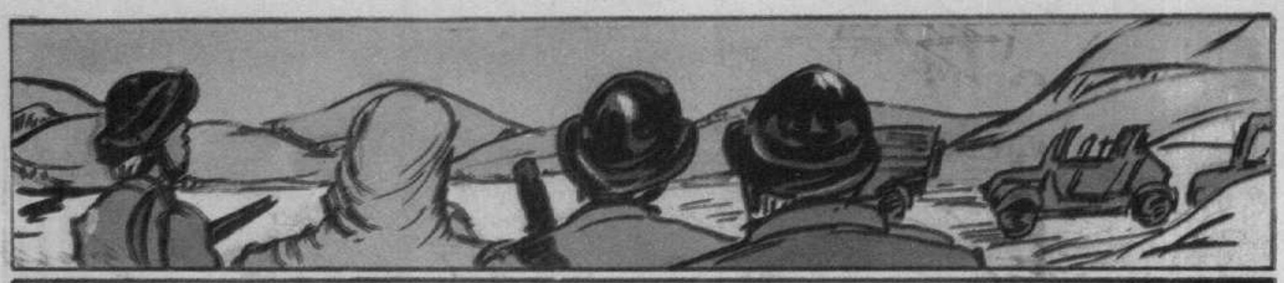
وظل عمر المختار يقاتل وحده ، إلى أن أصابته احدى الرصاصات فجرحت يده ، وسقطت البندقية منها ، وأمسك ذراعه الجريحة .

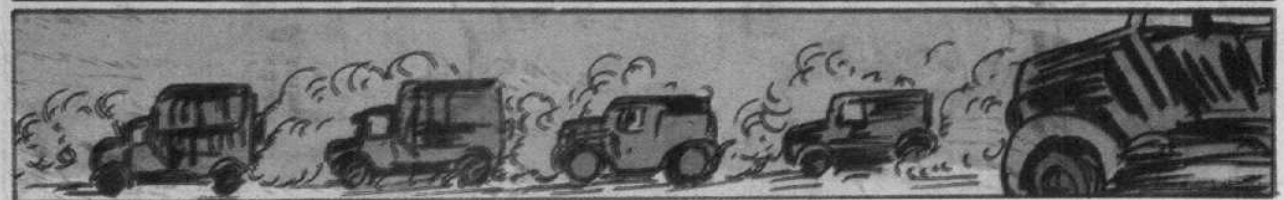


وأسرع الجنود الإيطاليون إليه ، فأحاطوا به ، وهم يصوبون إليه بنادقهم .



وقبض الايطاليون على عمر المختار!!





واخذوه معهم ، ووضعوه فى إحدى السيارات ، وانطلقوا عائدين إلى قاعدتهم ومعهم أسيرهم .



وفى مقر القيادة الإيطالية أشار أحد الجنود صارخا :
« هذا عمر المختار » .



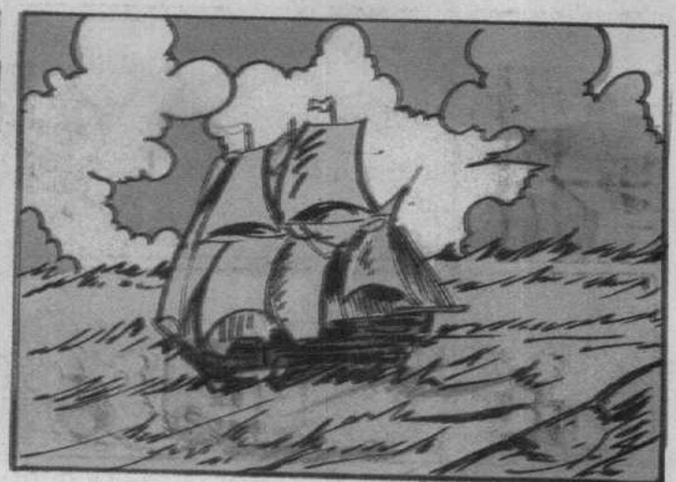
فأرسل الضابط برقية إلى مندوب الحكومة الإيطالية ، يبلغه بالأمر .



وجاء مندوب الحكومة مسرعا حيث تعرف على عمر المختار ، كما أعلن عمر المختار عن شخصه .



فوضع مندوب الحكومة الإيطالية حراسة قوية على عمر المختار ، وأرسله إلى مرسى سوسة ، وهناك كانت تنتظر سفينة حربية .



وصعد عمر المختار الى سطح السفينة وهو تحت حراسة مشددة . وتوجهت الى ميناء بنغازي ، حيث رست على



رصيف الميناء . ونزل عمر المختار من السفينة وسط الحراسة المشددة .



ووصلت برقية بهذا الأمر إلى جرازيانى ، الذى كان فى إجازة فى إيطاليا .



فقطع جرازيانى إجازته ، وعاد فى طائرة إلى بنغازى فى نفس اليوم .



وكان الإيطاليون قد وضعوا عمر المختار فى سجن بنغازى .



وحينما وصل جرازيانى ، أحضروا عمر المختار إلى قصر الحكم فى بنغازى .



ووقف عمر المختار أمام جرازياني ، وقد غطى وجهه بحرامه ، فلا يظهر من وجهه غير عينيه .



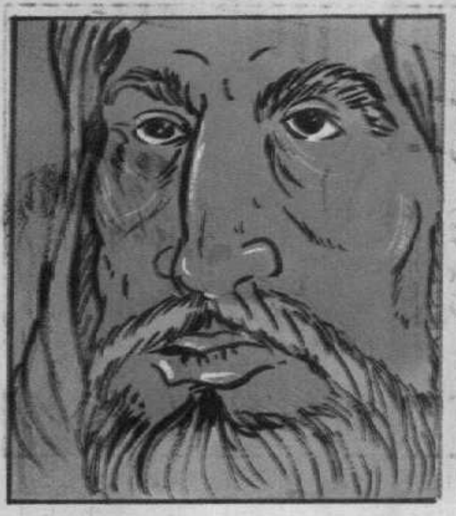
ودار حوار طويل بين جرازياني وعمر المختار ، عن طريق المترجم الخاص لجرازياني .



وبعد فترة ، طلب عمر المختار أن يجلس ، لأنه لا يستطيع الوقوف بسبب كبر سنه .



وحينما سأله جرازياني لماذا يحارب الإيطالين ، رد عمر المختار قائلاً : « لأن ديني يأمرني بذلك » .



وعندما ظهر وجه عمر المختار لجرازياني ، كتب جرازياني في مذكراته أنه شعر أنه أمام رجل تتجسم في شخصه الزعامة بأوضح معانيها .



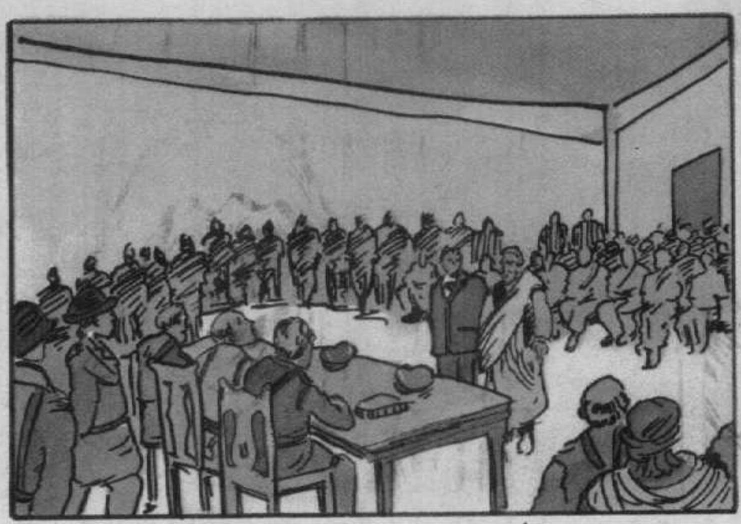
وأخرج جرازياني نظارة عمر المختار من مكتبه ، فأقر المختار أنها نظارته .



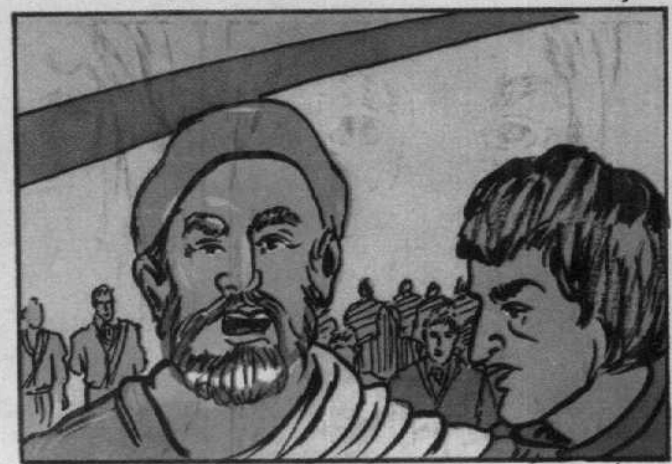
وعرض جرازياني على عمر المختار عفوا شاملاً ، على أن يكتب عمر المختار نداء للمجاهدين يدعوهم للكف عن المقاومة .



فرد عمر المختار قائلاً : « إن دينى وضميرى ووطنيتى ترفض أن أحيا ذليلا » .



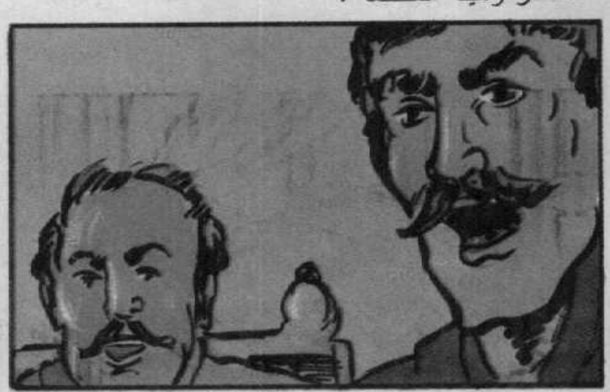
وتمت المحاكمة التى أعدها الإيطاليون لعمر المختار فى بناء برلمان برقة القديم .



وبدأت المحاكمة ، فبلغ التأثر بالمترجم حداً جعله لا يستطيع إخفاء تأثيره ، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده .

وأُحضِر مترجم آخر يهودى ، قام بدور الترجمة بين عمر المختار وهيئة المحكمة .

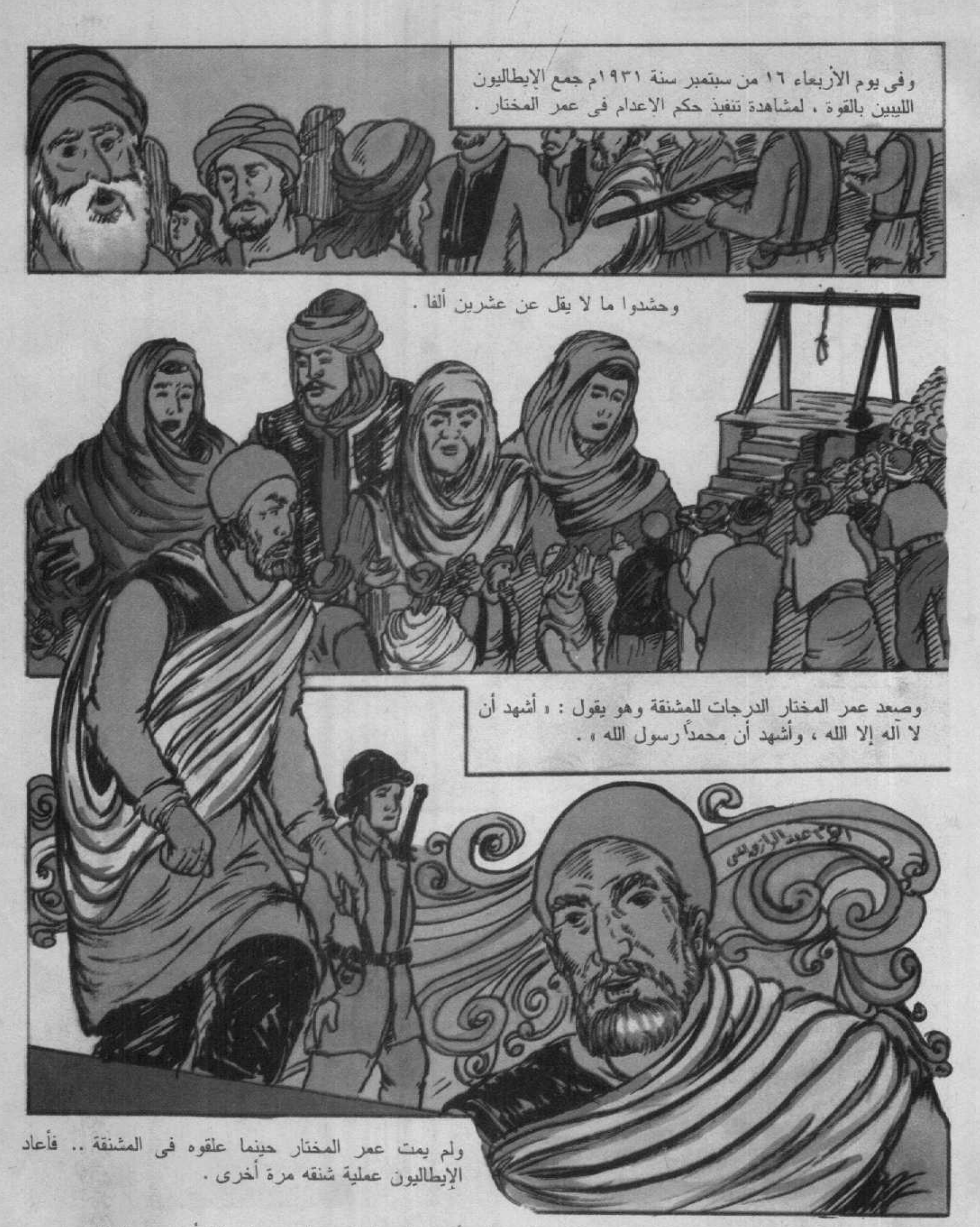
ودارت محاكمة صورية ، ثم انسحب القضاة من القاعة .



ثم عاد القضاة ليعلنوا أنهم حكموا على عمر المختار بالإعدام شنقاً .



فلم يزد عمر المختار على أن قال « إنا لله وإنا إليه راجعون » .



وذلك هو البطل العربى المسلم عمر المختار ، الذى خلف تاريخاً بطوليا عظيما ، وكان درسا ومثلا أعلى فى الكفاح ، لمن واصلوا المسيرة من بعده .. حتى تم تحرير الأراضى الليبية من المستعمرين .